

نحو سوسيولسانيات الربيع العربي ١

د. أشرف عبد الحي

١. مقدمة

أنتج الحراك السياسي الحالي في العالم العربي، والذي بات يُعرف بظاهرة "الربيع العربي" تحدياً للعلوم الاجتماعية والإنسانية لتطوير لغة مشتركة وأدوات ومفاهيم أكثر حساسية تُراعي خصوصية هذا الحراك السياسي والاجتماعي. ولكن تطوير لغة معرفية مشتركة من هذا النوع يستوجب في الأساس أهمية "عبور التخصصات" المغلقة من خلال فهم العلاقة بين هذه الفروع من المعرفة. تُعد هذه الورقة مساهمة لفهم العلاقة بين اللسانيات الاجتماعية (السوسيولسانيات) والحراك الديمقراطي والجيوسياسي في العالم العربي من خلال التركيز على بعض القضايا النظرية والمنهجية، والتي لها علاقة بهذا التفاعل المعرفي بين فروع الدراسات الاجتماعية.

وتطرح الورقة الأسئلة التالية: ماهي طبيعة العلاقة بين اللسانيات الاجتماعية والأنماط الاقتصادية والثقافية والسياسية في المجتمع؟ وما هي الأدوات والمفاهيم السوسيولسانية المطلوبة لفهم ودراسة هذه العلاقة؟ وما هي أهم مظاهر الثقافة السياسية للغة في المجتمع؟ تقوم الورقة على فرضية مفادها أنه لكي تشترك اللسانيات مع الواقع الراهن يجب "تسييس" اللسانيات من خلال التركيز على دراسة قضايا معيشة مثل تشكيل وتغيير علاقات القوة والتضامن في المجتمع العربي.

لمناقشة الأسئلة أعلاه؛ سنتناول أولاً تعريف اللسانيات الاجتماعية، ومن ثمّ سنتعرض إلى ملامح المعمار الإثنوغرافي للغة. وبناء على هذه الأرضية المفاهيمية سنتطرق إلى مفهوم الثقافة السياسية للغة مع التركيز على ظاهرة التصورات الشعبية والمشاهد اللغوية.

٢. اللسانيات الاجتماعية: عبور التخصصات وتسييس اللغة

تهتمّ اللسانيات الاجتماعية بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، وبالرغم من أنّ ظهور هذا الحقل المعرفي في أوربا يُؤرّخ له بفترة الستينيات من القرن الماضي الميلادي إلا أنّ الاهتمام بدراسة التفاعل بين اللغة والمجتمع قديم (هدسون ١٩٩٠). إنّ من يُطلع على أدبيات الدراسات اللغوية يجد أنّ مجال اللسانيات الاجتماعية وتطبيقاته - والذي يقوم بدراسة الظاهرة اللغوية كظاهرة اجتماعية - يُعرف بعدة مصطلحات أخرى منها على سبيل المثال لا الحصر: السوسيولسانيات/ اللغويات الاجتماعية/ علم اللغة

الاجتماعي/ اللسانيات الاجتماعية (وهذه الأربعة مصطلحات كمقابل للمصطلح الإنجليزي sociolinguistics)، واللسانيات الإثنوغرافية (ethnographic linguistics)، والأنثروبولوجيا اللسانية (linguistic anthropology)، واللسانيات الأنثروبولوجية (anthropological linguistics). وسوسيوولوجيا اللغة/ علم الاجتماع اللغوي/ اجتماعيات لسانية (وهذه المصطلحات الثلاثة كمقابل للمصطلح الإنجليزي the sociology of language) (انظر: واي ١٩٨٣، غارمادي ١٩٩٠، أشار ١٩٩٦، الطائي ٢٠١٣). بغضّ النظر عن الإشكاليات النظرية والعملية المتعلقة بالتوحيد الاصطلاحي،

والدقة في ترجمة المصطلحات الأجنبية ونقلها إلى العربية، يجب الإشارة إلى أنّ أحد مصادر التباين الاصطلاحي في تسمية المجال وتطبيقاته في التراث الأوروبي نفسه هو أنّ هذه المصطلحات نتاجٌ لحقول معرفية متباينة (علم الاجتماع والأنثروبولوجيا واللسانيات، ... إلخ)، والتي توجّه التركيز أو المدخل إلى دراسة دور "اللغة في المجتمع" بأدوات تنتمي إلى الحقل المعرفي المعني دون غيره (مثال: علماء الاجتماع يستخدمون نهج علم الاجتماع من مفاهيم وأدوات لدراسة اللغة)، ولكن رغماً عن ذلك تشترك كل هذه الاتجاهات المعرفية التي أنتجت هذه المصطلحات في أهمية دراسة

والأنثروبولوجيا والفلسفة وغيرها من فروع المعرفة إلى أدوات وأنظمة دقيقة في التحليل اللغوي لفهم طبيعة السلوك الاجتماعي في مجتمع ما، كذلك استفاد علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع من أهمية الاهتمام بالتركيب اللغوي والشكل وليس فقط بالمضمون.

فيما يلي سأقوم بتفصيل هذه النقاط والملاحظات حول أهمية فهم اللسانيات الاجتماعية كـ "حقل معرفي" عابر للتخصصات من خلال عرض بعض الأمثلة للمفاهيم والأدوات التي استلهمتها اللسانيات الاجتماعية من علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسفة وغيرها من فروع العلوم الاجتماعية الأخرى، بهدف توضيح أن أهم غرض لهذا التفاعل والتقاطع المعرفي هو دراسة "الثقافة السياسية للغة". إن أي تغيير في معطيات الثقافة السياسية (من عادات وتقاليد وأعراف وأدوار... الخ) أيضاً ينعكس بشكل ما على الوسائل اللغوية المستخدمة في التعبير عن ثقافة وسياسية هذا المجتمع (أي: اللغة مرآة المجتمع). وهذا ما يجعل "اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب" باعتبار أنها تساعدنا على تتبع وفهم المراحل الاجتماعية والتاريخية التي مرت بها وشكلت متونها وتراكيبها ودلالاتها (واي: ١٩٨٣: ١٢). إن كل مرحلة اجتماعية بنية اللغة الدلالية والنحوية نفسها. إن التعريف الشائع للغة بأنها وسيلة اتصال أو تعبير يجب أن يفهم من هذا المنظور التاريخي؛ اللغة منظومة اجتماعية مثلها مثل كل النظم الاجتماعية الأخرى يحكم

أن تشتبك بصورة جدلية مع الحراك السياسي والثقافي في العالم العربي، وغيره من السياقات التاريخية. إن التأكيد على أهمية "عبور التخصصات" transdisciplinarity تساعدنا على فهم السبب وراء أن جزءاً كبيراً من عناوين المساهمات العلمية في اللسانيات الاجتماعية لا يتضمن لفظة "لسانيات اجتماعية" في العنوان باعتبار أن المواضيع السوسiolسانية التي تناقشها هي بالفعل عابرة للتخصصات. ٣. النقطة الثانية، وتعدُّ إحدى نقاط القوة، وتترتب على النقطة الأولى؛ إن طبيعة اللسانيات الاجتماعية، باعتبارها حقلاً عابراً للتخصصات، جعلت حدود المساحة المعرفية التي تغطيها متغيرة نتيجة للمراجعات النظرية التي يخضع لها المجال في ضوء دراسة الواقع الاجتماعي المتغير.

النقطة الثالثة، كما سنرى بتفصيل لاحقاً، هي أن مسألة "عبور التخصصات" ترتبت عليها أيضاً آثار إستمولوجية ومنهجية؛ يجب دراسة اللغة في كل مستوياتها وعلاقاتها وأبعادها اللسانية والوظيفية والاجتماعية والثقافية والتاريخية (Blommaert; Joseph; ٢٠١٠: ٢٠٠٦). وعندما نؤكد أن اللسانيات الاجتماعية حقل معرفي عابر للتخصصات، فإننا نتحدث عن تفاعل ومنفعة متبادلة بين عدد من التخصصات أو الحقول المعرفية. فدراسة الأنظمة الاجتماعية والثقافية على مستوى السلوك في الحياة اليومية يحتاج علم الاجتماع

العلاقة بين الأنساق اللغوية والأنماط الثقافية والاجتماعية التي تشكل طريقة استخدام هذه الأنساق اللغوية وتنظيمها (Holmes ٢٠١٢). على سبيل المثال نجد من جهة أن الاهتمام في أعمال وليام لايوف (Labov ١٩٧٢) يكون على دراسة المجتمع من منظور اللغة باعتبار أن اللغة مرآة لواقع اجتماعي، بينما نجد من جهة أخرى أن الاهتمام في حالة ديل هايمز (Hymes ١٩٩٦) وجوشوا فيشمان (Fishman ١٩٧٢) يكون على دراسة اللغة من منظور المجتمع باعتبار أن العلاقة بين اللغة والمجتمع علاقة جدلية أي أن اللغة تؤثر وتتأثر بالمجتمع (Figuroa ١٩٩٤). الشاهد الذي يجب التأكيد عليه من الملاحظات أعلاه حول المصطلح يتمحور حول طبيعية الحقل المعرفي وحدوده، والذي يرمز إليه المصطلح، ويمكن تلخيصه في ثلاث نقاط:

التقطعة الأولى ذات طبيعة نظرية، وهي أن اللسانيات الاجتماعية تُعدُّ حقلاً معرفياً field، تتقاطع وتتفاعل فيها "تخصصات" وحقول معرفية عدة من بينها اللسانيات وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسفة والدراسات الثقافية والتاريخية (انظر: Hymes ١٩٦٤a، ١٩٧٢a). بعبارة أخرى، اللسانيات الاجتماعية ليست - بل ولم تكن في الأصل - تخصصاً متغلقاً discipline. وهذه النقطة في غاية الأهمية لأنه يترتب عليها معرفة نوعية الجهاز المفاهيمي (والذي يشمل تصوراً نظرياً وأنطولوجياً محدداً للغة) والذي من خلاله تستطيع اللسانيات

استخدامها أعراف وتقاليد محددة، وتتأثر في علاقتها وتفاعلها مع الظواهر الاجتماعية الأخرى.

ويُعد مفهوم "النظام الاجتماعي" من أهم المفاهيم في العلوم الاجتماعية، ويشير المصطلح إلى مجموعة من العلاقات بين الأفراد تحكمها وتنظمها ممارسات ومؤسسات وأنماط أو معايير مشتركة ومتفق عليها بصورة عامة (Durkheim ١٩٨٢؛ دوركايم ١٩٨٨؛ واي في ١٩٨٢).

النظام الاجتماعي يجب تجسيده وإعادة إنتاجه من خلال المؤسسات وعمليات التفاعل الاجتماعي والممارسات التراثية وعلى رأسها الممارسة اللغوية، وهذا يعني أننا لا يجب أن نخترل كل اللغة في قاموسها أو معجمها أو حتى في فرد واحد. اللغة كممارسة اجتماعية تُعد نظاماً سوسيولسانياً بمعنى أن الاستخدام اللغوي (على سبيل المثال: محادثة في الشارع) هو عملية منظمة يقوم بترتيبها وتوجيهها المجتمع أو المجموعة الخطابية المعنية من خلال أنماط ومعايير معروفة مسبقاً. وهذا يعني أنه ليست هناك "لغة خصوصية" يقوم الفرد باختراعها دون أن تخضع لمعيار "المقبولية" والذي يمثل سلطة المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد (Wittgenstein ٢٠٠١). واللغة بهذا المعنى الاجتماعي تُعد أحد أهم الأدوات التي تساهم في صناعة الانتماء وبالمقابل الإقصاء واللامعالة (Hymes ١٩٩٦؛ Blommaert ٢٠٠٥؛ Mooney and Evans ٢٠١٥).

إن مفردة "نظام" يجب ألا توحى بأن هذه المجتمعات - خاصة الحديثة منها - أنظمة منغلقة على ذاتها، أو في حالة

سكون واستقرار أبدي. بعبارة أخرى، لا يجب أن نتعامل مع السياقات الاجتماعية كـ"معطى" بل كإشكالية تحتاج إلى دراسة. إن أحد عوامل التغير هي حركة الأفراد والتداخل والتفاعل الاجتماعي؛ فالهجرات الاجتماعية تُعد أحد عوامل التغير اللغوي وأيضاً الثراء اللغوي. عندما يتحرك ويهاجر الأفراد من مكان لآخر، فإنهم يتحركون في جغرافيا ثقافية وعليه تتغير (سلباً أو إيجاباً) القيمة الاقتصادية والاجتماعية لمواردهم اللغوية تبعاً للحيز الاجتماعي الذي تستخدم فيه هذا المورد، علاوة على أنهم يثرون المكان الذين يهاجرون إليه بمواردهم الثقافية واللغوية (Bourdieu ١٩٩١). على سبيل المثال، من الملاحظ أن الهجرات الحديثة لأوروبا أنتجت شكلاً من أشكال "التنوع الثقلي المفرط" *superdiversity*، أي ظهور أنماط معقدة من التعددية الثقافية لم تشهدها أوروبا قديماً (Vertovec ٢٠٠٦؛ Blackledge and Creese ٢٠١٠؛ Blommaert ٢٠١٢).

وهذه الملاحظة يترتب عليها نقطة منهجية في غاية الأهمية؛ إذا كانت بنية اللغة سجلاً للعوامل والشؤون الاجتماعية المحيطة بها وللمسارات التاريخية التي مرّت عبرها وأثرت على تطورها، فلمعرفة المعاني المختلفة للمفردة يجب تتبع هذه العوامل الاجتماعية والمسارات التاريخية ٤، وهذا يستوجب أن يكون التحليل التاريخي للغة نفسه "عابراً للسياقات" (Silverstein and Urban ١٩٩٦)، على سبيل المثال، لكي نفهم التطور الدلالي لمفاهيم مثل "حرية" أو "عدالة" أو "انقلاب"، علينا تتبع

السياقات والأحداث التي شكلت معانيها وجعلتها تعاني من ظاهرة التعدد الدلالي أو الاشتراك اللفظي من خلال دراسة المسارات التاريخية التي ظهرت واستخدمت فيها هذه الألفاظ. الشاهد هنا هو أن اللغة تخضع للتغيير نتيجة للنزاعات في أشكالها المختلفة والحركة المستمرة للأفراد والمجموعات وتداخل المجتمعات - فعلياً أو إلكترونياً - مع بعضها البعض خاصة في سياق العولمة الاقتصادية، وظهر حديثاً عدد من الدراسات تحت مظلة "سوسيولسانيات العولمة" لدراسة هذه الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في تجلياتها أو أبعادها اللغوية (Blommaert ٢٠١٠).

يجدر الإشارة هنا إلى أن إنتاج الأنظمة الاجتماعية يعتمد على ما يُعرف في علم الاجتماع على "تقسيم العمل". إن مبدأ "تقسيم العمل" - خاصة في المجتمعات الحديثة - قد أنتج شكلاً من أشكال التمايز الاجتماعي نتيجة لتقسيم العمل من خلال الأدوار الاجتماعية والمهام الوظيفية داخل المنظومات الاجتماعية، وما يتصل بها من فروق في التقاليد والعادات والتربية والثقافة ومستوى المعيشة والتصورات الفكرية والتي تعكس بصورة جدلية بدورها في ظهور أساليب وأدوات تعبير متميزة اجتماعياً (أسلوب المهندسين، وأسلوب التجارين، وأسلوب البحارة، وأسلوب علماء الاجتماع، ... إلخ) (Durkheim ١٩٢٣). وهذه الأدوار تتفاعل مع بعضها بعضاً، وتتكامل لتكوّن نظاماً اجتماعياً مستقراً "نسبياً" (أي ليس هناك استقرار مطلق).

وتركز اللسانيات الاجتماعية على

الأمن اللغوي لمتحدثي هذه اللغات (لمزيد من النقاش حول مفهوم "الأمن اللغوي" انظر المسدي ٢٠١٤). وبعبارة أخرى إن اللغات تختفي كأنظمة سوسiolسانية قبل أن تختفي كأنظمة لغوية، وهذه الملاحظة من الأهمية بمكان لأنها تدعونا إلى الاهتمام بدراسة الوظائف الرمزية للغة المتعلقة بالهوية والسلطة، دون إغفال أهمية الوظيفة الأدائية للغة (Hymes ١٩٩٦؛ Blommaert ٢٠١٥؛ Edwards ٢٠٠٩). إن أهم العوامل التي تقود إلى اختفاء مفردات اللغة هي عوامل اجتماعية متعلقة باختفاء مدلولاتها (أي وظائفها) (واي في ١٩٨٢). ولكي نفهم عوامل الحفاظ أو التحول اللغوي او اختفاء أنساق لغوية من مجالاتها السوسiolسانية يجب الاهتمام بدراسة الأيدولوجيات اللغوية في المجتمع أو المجموعة الاجتماعية المعنية. ونحن هنا نستخدم تعبير "الأيدولوجية اللغوية" بالمفهوم الأنثروبولوجي للمصطلح، والذي يشير إلى مجموعة التصورات والمواقف الاجتماعية تجاه اللغة، وطريقة استخدامها في مجتمع ما، وعليه فإن مفهوم الأيدولوجية اللغوية من المفاهيم العلائقية التي تربط اللغة بالهوية والسلطة (Schieffelin et al. ١٩٩٨).

يكتسب الفرد عبر أنماط متباينة من التشبث اللغوية تصورات أيدولوجية محددة تجاه لغة أو أسلوب لساني محدد (مثال: "الفرنسية لغة الرومانسية"، "اللغة الإنجليزية لغة العلم"، "اللغة العربية لغة مقدسة"، "الإيطالية لغة المافيا")، وتصبح هذه الأيدولوجيات مكوناً أساسياً من مكونات المقدرة الخطابية أو التواصلية في اللغة المعنية،

كمنظومة سوسiolسانية يمكن أن تُستخدم كحلبة صراع لتصفية حسابات سياسية واجتماعية واقتصادية (Voloshinov ١٩٧٢؛ Gramsci ١٩٨٥؛ Suleiman ٢٠١٢b). وأفضل مثال لهذه الظاهرة هو الاستخدام السياسي لمصطلح "إرهاب" في الإعلام الأوربي والعربي.

تلخيصاً لما سبق، يجب التأكيد على أن التمايز والتنوع اللغوي يعد نتاجاً للتوزيع الوظيفي للموارد اللغوية في المجتمع، وهذا التوزيع الذي تحكمه أنماط ثقافية وأعراف اجتماعية محددة خاصة بكل مجتمع يجعل الأنظمة السوسiolسانية مستقرة نسبياً. إن ظاهرة "الازدواجية اللغوية" (Ferguson ١٩٥٩) يمكن أن تفهم من هذا المنظور كظاهرة سوسiolسانية. والتوزيع الاجتماعي الوظيفي للغة يُحتم علينا التركيز على دراسة الشروط الاجتماعية والاقتصادية للغة (Bourdieu ١٩٩١)، وهناك العديد من الدراسات في اللسانيات الاجتماعية التي ركزت على دراسة التمايز الاجتماعي والتصنيف الطبقي للغة في المجتمع وتمثلت هذا التمايز والصراع في متن اللغة (انظر لعبيبي ٢٠٠٩).

إن التركيز على الشروط الموضوعية للغة يجعلنا نعيد النظر في بعض القضايا بصورة نقدية ومن منظور سوسiolساني، مثل تلك القضايا المتعلقة بالحقوق اللغوية و"انقراض اللغات" وتعليم وتعلم اللغات وغيرها (انظر: Duchene and Heller ٢٠٠٧)، وعلى سبيل المثال الحفاظ على اللغات من الاختفاء من مجالات استخدامية معينة يستوجب خلق الشروط الموضوعية (الاجتماعية والاقتصادية) التي من خلالها يتم توفير شكل من أشكال

طبيعة "تقسيم العمل اللغوي" من خلال دراسة التوزيع الاجتماعي للموارد اللغوية على المستوى الأفقي والرأسي باعتبار أن كل الموارد الخطابية المتوفرة في المجتمع تؤدي وظائف محددة داخل هذا المجتمع (Putnam ١٩٧٥؛ Ware ١٩٧٨؛ Rossi-Landi ١٩٨٢). إن الخيارات اللغوية (مثلاً نطق كلمة بصورة مختلفة ممّا هو متعارف عليه) التي يقوم بها الشخص هي خيارات اجتماعية (وليست لغوية بحتة) وعليه يمكن أن تترتب على هذه الخيارات آثار في غاية الأهمية من ناحية ثقافية واقتصادية وسياسية (Gumperz ١٩٨٢). وقد أنتج التوسع والتخصّص في الأدوار الاجتماعية نظاماً سوسiolسانياً معقداً ومتنوعاً ومتعدداً لغوياً (موارد لغوية مختلفة ينظم استخدامها وتفسيرها أنماط اجتماعية وتصنيفات ثقافية وأساليب مهنية مختلفة... إلخ).

وكما ذكرنا فإن هذه القضايا المتعلقة بطبيعة توزيع الموارد اللغوية في المجتمع تقع في صلب اهتمامات اللسانيات الاجتماعية باعتبار أنها تهدف إلى فهم العمليات والعوامل التاريخية والاجتماعية التي أدت إلى ظهور أنماط مختلفة من الاستخدام اللغوي. وبما أننا نعيش في عالم متغير ومليء بالصراعات والحروب والنزاعات في أشكالها المختلفة؛ فإن أي تحليل لواقع "اللغة في المجتمع" يجب أن يأخذ في الاعتبار أن النزاعات حول اللغة تكون في الغالب مدفوعة بعوامل أيدولوجية (متعلقة بالهوية السياسية والسلطة... إلخ)، وبناءً على هذا، فإن اللغة يمكن أن تستخدم كذريعة لخوض حرب بالوكالة عن مصالح محددة، وهذا يعني أن اللغة

وهذه المقدرة التواصلية communicative competence تتطوّر الاستخدام المناسب للأساليب اللغوية على حسب المقامات أو السياقات الاجتماعية. وعندما يكتسب الطفل نسقاً لغوياً محدداً فإنه يكتسب معه الشروط الموضوعية التي تحكم استخدام هذا النسق (Ochs ٢٠٠٠). هذه النقطة يترتب عليها الملاحظات التالية:

١. يجب عدم اختزال اللغة كممارسة اجتماعية لها علاقة بالهوية والسلطة في المفهوم المدرسي للغة.
٢. مفهوم التشبُّه اللغوية لا يُركّز على اللغة الشفوية أو المكتوبة فقط بل على كل الأنظمة السيميائية الأخرى (مثل إشارات المرور)، كما يركّز أيضاً على العلاقة بين هذه الأنظمة السيميائية ودورها في تشكيل هوية الفرد والمجتمع.

٣. مفهوم التشبُّه اللغوية يجعلنا ننظر إلى المعرفة باعتبارها عملية مستمرة تبدأ من الحياة وتنتهي مع الممات، باعتبار أن الموارد اللغوية التي يكتسبها أو يتعلمها الفرد تعتبر موارد ذات وظائف متخصصة. هذه الموارد اللغوية يمكن أن تنتمي إلى عدة لغات أو أنواع لغوية (مقدرة كتابية في لغة الصحافة العربية، مقدرة فهم نصوص إنجليزية في اللسانيات، المقدرة على تمييز كلمات فرنسية، ... إلخ) ولكنها تعتبر جزء من ذخيرة خطابية متكاملة integrated communicative repertoire يطوّرهما الفرد من خلال أنماط مختلفة من التجارب والمعرفة (Butler ١٩٩٧؛ Busch ٢٠١٢؛

Canagarajah and Liyanage ٢٠١٢). وعليه فاللغة ليست شيئاً ينيق مرة واحدة، أو نولد به كتلة واحدة لأن كل نمط أو نوع لغوي في هذا الذخيرة الخطابية يخدم، كما ذكرنا، وظيفة اجتماعية محددة، وممّا سبق فإنّ عملية اكتساب اللغة عملية تراكمية، بمعنى أنها تعتمد على مجموعة من الخبرات والممارسات التي تشكّل أنماطاً محددة من التوقعات حول اللغة وطريقة استخدامها وهذا ما يجعل اللغة ظاهرة تاريخية بامتياز. وهذه النقطة في غاية الأهمية لأنها تبرّر استحالة امتلاك شخصين في المجتمع الواحد أو حتى داخل الأسرة الواحدة مقدرة تداولية واحدة متطابقة كامل التوافق. في هذا السياق يمكن فهم قول الشافعي (الشافعي ١٩٣٨ [١٣٥٧]: ٤٢) "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه".

إنّ التركيز على أهمية فهم الأنماط الثقافية والقيم الاجتماعية التي تنظم الاستخدام اللغوي لا يعني بأي حال من الأحوال أننا بصدد "جبرية سوسiolسانية" تلغي حرية الفرد الاجتماعي في أن يكون لديه خياراته اللغوية، بل ما يجب التأكيد عليه هو أنّ الخيارات الفردية هي في النهاية خيارات يوفّرها المجتمع، ولذلك يجب معرفة الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تحت تأثيرها يحدد

الفرد خياراته.

إنّ العلاقة بين الفرد والمجتمع، أو اللغة والحياة الاجتماعية، علاقة متبادلة بمعنى أنّ اللغة تتأثّر وتتأثّر في المحيط الاجتماعي الذي تستخدم فيه، فاللغة كما ذكرنا سابقاً لها دور أساسي في صناعة الدول والشعوب كمجتمعات خيالية (Anderson ١٩٩١). ولذلك، فإن اللغة ليست مرآة للنظام الاقتصادي أو المادي فحسب أو "بنية فوقية" (بالمفهوم الماركسي للمصطلح) تتأثّر ولا تؤثر في البنية التحتية، بل إنّ اللغة أحد موارد إنتاج أنماط مختلفة من الهيمنة الاقتصادية والنزعات الإمبريالية والاستشراقية (Said ١٩٧٨؛ Phillipson ١٩٩٢؛ Makoni and Pennycook ٢٠٠٧).

إذا نظرنا إلى المواضيع والاهتمامات التي تدرسها اللسانيات الاجتماعية سنجد أنها ظواهر اجتماعية وسياسية واقتصادية، ولكن من خلال مدخل خطابي أو لغوي يهدف ليس فقط إلى وصف الأنماط المستخدمة في توزيع الثروات والموارد الثقافية (وعليه اللغوية) والسياسية والاقتصادية؛ بل ويعمل أيضاً على نقد وتفكيك البنى التحتية التي أنتجت أشكالاً مختلفة من اللامعادلة. إنّ الدراسة السوسiolسانية لقضايا مثل التنوع اللغوي والتعددية اللغوية والحقوق اللغوية والتخطيط والسياسية اللغوية والعلاقة بين اللغة والتنوع الاجتماعي (الجندر) والازدواجية اللغوية، وغيرها من المواضيع التي تهتم بها اللسانيات الاجتماعية، يجب أن يُنظر إليها باعتبارها جزءاً من مشروع نقدي (وديمقراطي) يهدف إلى معالجة إشكالية "الصوت الاجتماعي" (Bakhtin)

السوسiolسانية للفرد. ويركز التصور الإثنوغرافي على الشروط الاجتماعية والاقتصادية التي أنتجت بنية ومحتوى هذه الذخيرة السوسiolسانية. وبما أن هناك تبايناً في الشروط الموضوعية التي تنظم استخدام كل نسق لغوي، فالتصور الإثنوغرافي يركز على أنماط اللاعدالة في توفير وتوزيع الموارد اللغوية في المجتمع باعتبارها تؤثر على "الصوت الاجتماعي" للفرد. وهذا يعني أن اللغات فعلياً "غير متكافئة" على أرض الواقع.

٤. تحمل اللغة كتمل خطابي قوة إنجازية تساهم من خلالها في إنتاج وتغيير الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية، ومن هذا فالوظائف التداولية للغة تُصمّر مصالح يسعى الأفراد والأنظمة الاجتماعية لتحقيقها.

٥. تعتمد قيمة اللغة على الشروط التاريخية التي تستخدم فيها، وعليه أوصاف مثل "لغة" و "لهجة" و "رطانة" و "لغة قومية" و "لغة أقلية" و "لغة محلية" و "لغة عالمية" و "لغة مقدسة" و "لغة مكسرة" هي في الأصل قيم سوسiolسانية وليست لسانية.

٦. يركز التصور الإثنوغرافي لغة على دراسة اللاعدالة اللغوية في بعدها الرمزي والأداتي معتمداً على مفهوم "الإنسانية الاشتراكية" socialist humanism بدلا عن مفهوم "الإنسانية الليبرالية" liberal humanism، وتشدد الإنسانية الاشتراكية على نقد وتشكيك البنى الخطابية التي تنتج علاقات الهيمنة

"أنطولوجيا" اللغة (كينونة اللغة) بصورة محددة. فاللغة من هذا المنظور تُعدُّ ظاهرة تاريخية بامتياز باعتبار أنها تتجسّد وتتمظهر في السلوك الإنساني في إطار "كرونوتوبي" (Bakhtin ١٩٨١) (أي في زمان ومكان محدد) يمكن مشاهدته ووصفه بأدوات إثنوغرافية مثل الملاحظة المباشرة والتوثيق الفوتوغرافي. وعلى هذا فإن مفهوم القدرة اللغوية المجردة يعدّ، من هذا المنظور الإثنوغرافي، مفهوماً "غير تاريخي" لأنه يعزل اللغة عن بيئتها الكرونوتوبية، أو على أفضل تقدير ينظر إلى العامل الاجتماعي للغة باعتباره عاملاً غير جوهرياً في عملية اكتساب اللغة واستخدامها. وأحد الآثار المنهجية المترتبة على هذه الملاحظة هي أن التصور الإثنوغرافي للغة لا يستخدم المنطق الرياضي أو أي نماذج قياسية مطردة من شأنها "تغريب" alienation اللغة عن مستخدميها وبيئتها السوسiolسانية. وهذه الملاحظة المهمة من شأنها أيضاً أن تبرّر استخدام المنهج الوصفي و"دراسة الحالة" باعتبارها أهم أدوات البحث الإثنوغرافي.

٢. التصور الإثنوغرافي للغة يركز على دراسة القدرة التواصلية communicative competence على استخدام عدد من الموارد والأساليب اللغوية بصورة مقبولة في مقامات متعارف عليها اجتماعياً. وتعتبر هذه الموارد اللغوية المُسوّمة جزء من الذخيرة

التي يُعدّ مؤشراً أو إحالة إلى التمايز الاجتماعي للأفراد وتراتبية مواردهم الثقافية والاقتصادية التي تشكّل طبيعة هذا الصوت الاجتماعي داخل المنظومة الاجتماعية المعنية. وبمعنى آخر: هذه المواضيع سوسiolسانية، لأنها تركز على فهم العلاقة الجدلية بين اللغة والمجتمع.

٣. المعمار الإثنوغرافي للغة والثقافة السياسية

يمكن النظر إلى ما تعرضنا إليه في الجزء السابق بأنه يمثل الأرضية الإيستمولوجية (النظرية) والمنهجية والأنطولوجية للمعمار الإثنوغرافي للغة، والذي يعدّ من أهم المقاربات التي أنتجتها الأنثروبولوجيا لدراسة السلوك الاجتماعي في بيئته الاجتماعية والثقافية. ويمكن عرض مفاتيح هذا المعمار الإثنوغرافي في ضوء الملاحظات التي ناقشناها في النقاط العشر التالية:

١. يركز التصور الإثنوغرافي على فهم وظائف اللغة ووصفها في المجتمع. وبما أن الأنساق اللغوية لديها استخدامات سياقية محددة فهذا يعني أن الاستخدام اللغوي يعدّ تعبيراً عن الانتماء والإقصاء الاجتماعي في نفس الوقت (أمارة ٢٠١٠). ومن غير إغفال البعد الأداتي للغة (اللغة وسيلة اتصال لنقل الأفكار) يهتم المنظور الإثنوغرافي بدراسة الوظائف الرمزية أو التداولية للغة (اللغة رمز للهوية والسلطة) (Austin ١٩٦٢؛ Hymes ١٩٩٦).

٢. المنظور الإثنوغرافي للغة ينظر إلى

- واللاعدالة الاجتماعية Hymes ٩. كل الأنساق اللغوية تُستخدم داخل منظومات سوسiolسانية. يسعى التصور الإثنوغرافي لفة إلى فهم ووصف وتفسير طبيعة الأنظمة السوسiolسانية من منظور مستخدم/ة للفة في المجتمع المعنى بالدراسة، وليس من منظور الباحث الأكاديمي، وهذا الموقف الإيستمولوجي يبرر أهمية استخدام "الملاحظة المباشرة" كأحد أدوات جمع البيانات/ المعطيات الإثنوغرافية وغيرها من أدوات البحث الكيفي (Fabian ١٩٨٢; Robben and Sluka ٢٠١٢).
١٠. التصور الإثنوغرافي لفة يركّز على حرية وخيارات الفرد، ولكن ضمن إطار الممارسة الخطابية المتعارف عليها في المجتمع. فالحرية في الاختيار هي نتاج الممارسة الاجتماعية (Duranti ١٩٩٧).
- كما ذكرنا آنفاً فإن هذه النقاط تمثل المبادئ النظرية والمنهجية للتصور الإثنوغرافي لفة، والذي يهدف في نهاية المطاف إلى فهم ودراسة "الثقافة السياسية" للمجتمع في مظهرها اللغوي المادي (أي في زمان ومكان اجتماعي محدد). بعبارة أخرى، يهدف المنظور الإثنوغرافي لفة إلى فهم ووصف الأنماط التاريخية التي تنظم العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على المستوى الرسمي والشعبي من خلال دراسة وظائف "اللفة في المجتمع".
- وفي سياق هذه الورقة يمكن تعريف
٧. من ناحية منهجية، يجب أن يكون التحليل الإثنوغرافي للظواهر اللغوية علائقياً وشمولياً، ويجب أن يكون مؤسساً على فرضية أن اللفة منظومة اجتماعية ذات وظائف محددة في المجتمع (Goffman ١٩٧١). ولكي يكون التحليل شاملاً يجب ربط متن اللفة من خلال التحليل اللغوي على المستوى "الميكروسوسiolوجي" الدقيق (على المستوى النحوي والصرفي والدلالي والصوتي) بالظواهر الاجتماعية على المستوى "الماكروسوسiolوجي" الشمولي (مستوى الأدوار الاجتماعية والأهداف وعلاقات القوة والنفوذ،... الخ). كذلك يجب أن يوضح التحليل أن العلاقة بين هذه المستويات علاقة جدلية (كل يعرف الآخر ويرتبط به). وكذلك يجب الانتباه إلى أن الفصل بين هذه المستويات هو فقط من أجل التحليل باعتبار أن هذه المستويات متداخلة مع بعضها البعض في الواقع (وعليه السؤال "أيهما الأصل: المعنى أم اللفظ" لن يطرح).
٨. ربط اللفة بالهوية هو عملية أيديولوجية (أي مبنى على تصورات اجتماعية)، بمعنى أنه كل ما كانت اللفة محل نزاع وصراع، فإن الدافع والهدف يكون في الغالب ذو طبيعة "غير لغوية" (متعلق بالهوية والسلطة وغيرها من العوامل الاجتماعية والاقتصادية) (Edwards Suleiman ٢٠١٣b; ٢٠٠٩).
- "الثقافة السياسية" بأنها منظومة القيم والمعتقدات والتصورات الثقافية والممارسات الاجتماعية والرموز والمواقف النفسية والأنماط الخطابية المشروعة التي يتبناها الفرد أو المجموعة بوعي أو بدون وعي اتجاه الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي القائم (Almond and Verba ١٩٦٢; Anderson ١٩٩٠; Tismaneanu ١٩٩٥). إن أهم القضايا أو الإشكالات التي يركّز عليها مفهوم الهوية السياسية هي إشكالية الهوية في كل أبعادها (السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية)، وهذا هو المدخل لفهم الدور الاجتماعي والثقافي لفة كأحد أهم الوسائل الاتصالية والموارد الرمزية التي تستخدم في إنتاج أشكال متباينة من الانتماء والتحالفات السياسية والعرقية داخل المنظومات الاجتماعية Mazrui ٢٠١٣b; Suleiman ١٩٩٩; Burns ٢٠١٦)). وعلى ذلك فإنه يمكن النظر لفة في بعدها الأداة بأنها مرآة تعكس فيها الثقافة السياسية السائدة (أو المهتمشة) في مجتمع ما. إن عقيدة الأمة وتقاليدها، أو المجموعة وما تخضع له هذه المجموعة من قوانين ومبادئ في مجالات السياسة والقضاء والتشريع والتربية والأخلاق وميلها إلى السيطرة والتطبيقية والعدوان أو جنوحها إلى السلم والمساواة والتضامن، وما تعتقه من توجهات صدّ الفنون بأنواعها كلّها يترك كل ذلك بصمة مميزة على اللفة في جميع مظاهرها البنوية والأسلوبية (وإي ١٩٨٢).
- يكتسب الفرد بصورة تراكمية مكونات الثقافة السياسية في مجتمعه عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية

إنّ هذا الاهتمام "عابر للتخصصات". تُعدُّ اللسانيات الشعبية لغة أحد أهم مكونات الثقافة السياسية والتي أولاها البحث السوسiolساني، مؤخراً، مزيداً من الاهتمام، بل وأُفرد لها فرعاً يهتم بدراستها تحت نفس المسمى (Niedzielski and Preston ٢٠٠٠). ويمكن تعريف التصورات الشعبية للغة من منظور أنثروبولوجي بأنها مجموعة التصورات والممارسات والتعليقات والمفاهيم والمواقف النفسية التي يتبناها الشخص "غير المتخصص في اللسانيات" تجاه لغة معينة أو طريقة استخدامها ومستخدميها (Niedzielski and Preston ٢٠٠٠، ٢٠٠٩). والتصورات الشعبية للغة يمكن أن تتباين أو تقاطع مع "النظريات العلمية" للغة، وعلى وجه الخصوص النظريات اللسانية التي تستخدم المنطق الرياضي.

يركّز علماء اللسانيات الشعبية على دراسة المفاهيم الثقافية لمفردات مثل "لغة" و"لهجة" و"جملة"، والتصورات الثقافية من ظاهرة التصويب اللغوي أو القبول اللغوي ومواقفهم النفسية اتجاه "اللكنات" المرتبطة باللهجات الريفية والاجتماعية، ومدى تأثير هذه المواقف والأفكار الثقافية على عملية الصيانة أو التحويل اللغوي. فإذا كانت الأفكار الشعبية حول اللغة تتجسّد في السلوك أو الممارسة اللغوية، فهي إذن تتأثّر وتؤثّر في العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع. ومن هذا المنطلق، تُعدُّ الأيديولوجيات الشعبية أحد مكونات القدرة التداولية (الاستخدام المناسب للغة في المقام المناسب) باعتبار

اللغة في سياقها التاريخي العريض، أي دراسة الظواهر الاجتماعية للغة كما في دراسة الوظائف الخطابية المختلفة على مستوى التفاعل الاجتماعي، و ظاهرة التعدد والتباين اللغوي والثقافي، والتوزيع الأفقي والرأسي للموارد اللغوية في جغرافية ثقافية معينة، ووصف الأساليب والأنماط والقيم الأيديولوجية للموارد اللغوية والسياسات اللغوية والمشهد اللغوي الذي يعكس الاستخدام الفعلي للغة وعلاقته بالهوية بأشكالها ومستوياتها المختلفة (محلية، إثنية، قومية، عالمية) واللسانيات الشعبية للغة في مجتمع معين وغيرها من الظواهر والقضايا الاجتماعية.

وفيما تبقى في هذه الورقة فإنّي سأركّز بإيجاز على ظاهرتي اللسانيات الشعبية للغة والمشهد اللغوي باعتبارهما مصادر لدراسة الثقافة السياسية للغة، وفهمها.

١،٣. سوسiolسانيات الحرية :

اللسانيات الشعبية للغة

رغم أنّ الرغبة في دراسة وفهم النظريات الشعبية للغة قديمة إلا أنّ الدعوة إلى دراستها حديثاً بصورة منظمة تعود إلى المنظور الإثنوغرافي للغة خاصة في أعمال هايمز وزملائه وتلاميذته (Gumperz and Hymes ١٩٧٢؛ ١٩٦٤b؛ ١٩٦٦؛ Hoenigswald ١٩٦٦). وكما أشرنا أعلاه، فالتيار الإثنوغرافي لا يدرس اللغة بمعزل عن الثقافة الشعبية التي تستخدم فيها هذه اللغة، والأهم هو أنّ الاهتمام بدراسة الظاهرة نفسها هو نتاج لتفاعل نقدي بين عدد من الحقول المعرفية (أي:

المختلفة، مثل الأسرة والمدرسة والمؤسسات الإعلامية والمناسبات التراثية والتصورات الشعبية. ويكتسب الفرد الأنماط السوسيو-إثنوغرافية التي تنظم وتوجه السلوك اللغوي (أي الثقافة السياسية للغة) كجزء من قدرته التواصلية أو الخطابية، وهي بهذا تحدد "صوته الاجتماعي" وتشكّله باعتبار أنّ هذه الثقافة السياسية للغة تحدد الموارد اللغوية "المعمّدة" (لدى المؤسسات المعنية)، والتي تقرّر بشكل صريح أو عرّف ما يجب أن يُقال/ يُكتب وكيف يُقال وأين ومتى يُقال... إلخ.

إنّ الثقافة السياسية كمجموعة من الممارسات الاجتماعية (وعليه الخطابية) تنتج أنماطاً متميزة من المشاركة في قضايا على المستوى الماكروسوسiolولوجي مثل "الديمقراطية" و"الحرية" و"التحول الديمقراطي" و"التوزيع العادل للثروات الثقافية والمادية. إنّ الثقافة السياسية (والاقتصادية) للغة هي أحد أهم مصادر اللادعالة الخطابية في المجتمع.

وإن كان من تلخيص لما عرّضَ آنفاً، فإنه يجب التأكيد على أنّ التصور الإثنوغرافي للغة يركّز على دراسة الثقافة السياسية باعتبارها جزءاً من المقدرة التواصلية، وهذا يعني لإنتاج تحول ديمقراطي يجب أن تتغير الثقافة السياسية للغة مع مراعاة العوامل الأخرى (كيف ننظر من خلال اللغة إلى مفهوم "الدولة" و"العدالة" و"الإنسانية"... إلخ) (Blommaert ٢٠١٥؛ Gramsci ١٩٨٥). كما لاحظنا فقد استطاع التيار الإثنوغرافي ربط اللغة بالمجتمع، وأصبحت اللسانيات الاجتماعية (أو اللسانيات التطبيقية بصورة عامة) تهتم بدراسة

أنها تُكتسب خلال عمليات المناقشة المختلفة (Ochs ٢٠٠٠)، وعليه تُعدُّ التصورات الشعبية للغة ظاهرة تاريخية.

إنَّ الهدف من دراسة ووصف التصورات الشعبية للغة من منظور إثنوغرافي هو محاولة فهم الطريقة التي يقيّم بها العامة من الناس الموارد السوسiolسانية المتاحة (والمحظورة) لخدمة احتياجاتهم الاقتصادية والتعليمية. إنَّ الأنماط الشعبية للغة على أرض الواقع، وليس فقط السياسات اللغوية الرسمية، هي ما يحدّد ويحكم توزيع هذه الموارد، ومنه فالتصورات الشعبية تساهم في إنتاج أنماط محددة من اللادعالة الخطائية، والتي تُعدُّ مؤشراً على وجود أشكال مختلفة من التراتبية والتمايز الاجتماعي (Foucault Hymes ١٩٧٢b; Shohamy ١٩٧٢ ٢٠٠٦).

من الملاحظ أنَّه ليس هناك الكثير من الدراسات السوسiolسانية حول ظاهرة التصورات الشعبية عن اللغة العربية (لكن انظر: الشمري وميغري: تحت الطبع؛ Suleiman ٢٠١٢a). إنَّ التصورات الشعبية للغة في العالم العربي بحاجة إلى دراسة إثنوغرافية لمعرفة كيف تُقيّم كل ثقافة شعبية دور اللغة في الحياة الاجتماعية والسياسية. فهناك حاجة لدراسة طبيعة الثقافات الشعبية للغة في سياقات مختلفة في العالم العربي لمعرفة أثرها في تحديد مواقف العامة من الشعب من قضايا سياسية واجتماعية مثل "العدالة الاجتماعية" و"الديمقراطية" و"الدولة العميقة"، وغيرها من المفاهيم التي أصبحت الآن جزءاً من المدونة الشعبية للغة، والتي يمكن

أن تختلف عن كل المفاهيم والتعريفات الأكاديمية لهذه المصطلحات. وهنا يجب الإشارة إلى أنَّ أجندة البلاغة العربية على وجه الخصوص تحتاج إلى مراجعة نقدية بهدف إنقاذها من عالم "الجمل المصطنعة"، يقول عماد عبد اللطيف:

"مأزق تحديث البلاغة يتعمق حين نترف بحقيقة أنَّ المعرفة البلاغية العربية لم تكن طوال الوقت مشغولة بالحياة العربية كما يجدر بها أن تكون. فكل معرفة لا تحرث في أرض الحياة تظلُّ معلّقة - كالمشوقة - بين حبال التظليلات. وقد عاشت البلاغة العربية، أيام مجدها، حياة شاب جسور يُصارع الواقع ويفاوضه، ويستجيب له، ويغيّره؛ غير أن الحال انتهت بها عجوزاً محاصرة داخل صومعة الشروح والحواشي والتعليقات، معزولة عن فضاءاتها الحيوي، حبسية سجن ماضيها العتيق. وبعد أن كانت كينونة نابضة، تستمد حيويتها من سيرورة المجتمع وثرأ تحولاته، انكسحت لتصبح حروفاً وكلمات مرتعشة داخل دفات كتب مولعة بالنقل، وقاعات درسٍ مُفعمة بالتلقين" (عبد اللطيف ٢٠١٤: ٥).

الشاهد هنا هو التأكيد على أنَّ اهتمامات البلاغة العربية هي اهتمامات سوسيو-خطائية بامتياز باعتبار أنها تهدف إلى دراسة اللغة في مقام الحياة اليومية. يضيف عبد اللطيف:

"لقد نشأت البلاغة في حضن الحياتي؛ وعاشت طفولتها في كنف الديني والاجتماعي والسياسي، وحين انشغلت - قديماً - بنصوص مثل الوصية والحكمة والخطابة والشعر، كانت الوظائف التداولية لهذه النصوص هي

حافظ إنتاجها، في حين كانت الخصوصية الجمالية أداة لتحقيق الوظائف التداولية. كانت هذه الأنواع تنتمي بالأساس إلى الحياتي، وليس إلى الأدبي. ورغم تغيّر الزمن فإن البلاغة العربية ظلت متشبّثة بنصوصها؛ بغض النظر عن تغيّر وظائفها. وقد أدّى هذا إلى استمرار التركيز على نصوص انتقلت بشكل شبه كلي من دائرة الحياتي إلى دائرة الأدبي، ومن هيمنة الوظيفة التداولية إلى هيمنة الوظيفة الشعرية (الجمالية). وكان عدم التنظن لوظيفة البلاغة بوصفها الحقل المعرفي الذي يدرس الإقناع والتأثير في الفضاء العام، أي يدرس الحياتي اليومي (ولنقل دون تخرج "الشعبي" أيضاً)، حاجزاً دون الاهتمام بنصوص وأنواع وخطابات حياة يومية جديدة، تشكّلت - أو تكاد - بمعزل عن علم البلاغة القديمة. وكان من نتائج ذلك ظهور تحدٍ جديد، هو انعزال البلاغة بوصفها علماً عن خطابات الحياة المعيشة، بوصفها غاية العلم ووعاءه" (اللطيف ٢٠١٤: ٦).

إنَّ الذي يُعمن النظر في الشروط التاريخية والاجتماعية التي ظهرت فيها البلاغة كمنظومة معرفية يلحظ هذا الالتزام السوسيو-سياسي والذي كان في مقدمته محاربة وتغيير التصورات النمطية السلبية التي جاهد حينها التيار الشعبي لنشرها حول اللغة العربية والثقافة الإسلامية خاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين (ضيف ٢٠١٤) (Suleiman ٢٠١٢a؛). وعليه، يجب "تسييق" المدونة البلاغية التي ركّزت على دراسة الإعجاز الخطابي في القرآن الكريم في هذا السياق الماكروسوسولوجي. والشاهد هنا

اللغوي" لدراسة طبيعة التعددية اللغوية من خلال فحص لافتات الطرق وأسماء الشوارع والمواقع والأماكن والمؤسسات الخاصة والحكومية ولوحات الإعلانات وغيرها من ظواهر الحيز العام التي تساهم اللغة في تحديد معالمها Pennycook 2010؛ Scollon and Scollon 2003). وبالرغم من أن هذا المجال السوسiolساني ما يزال حديثاً نسبياً فقد أصبح له أدوات نظرية ومنهجيات بحث وتحليل، بل وأصبح له الآن مجلة خاصة تصدر باللغة الانجليزية باسم "المشهد اللغوي" والتي ظهر أول عدد لها سنة 2015.

وحديثاً توسّعت وتطوّرت اهتمامات دراسات المشهد اللغوي وأصبحت أكثر تعقيداً. فقد فتح المنظور الإثنوغرافي الباب واسعاً لدراسة كافة الممارسات الخطابية والأنظمة السيميائية (والتي تشمل الأنظمة اللغوية وغير اللغوية) ودورها في تشكيل الفضاء العام جغرافية ثقافية واجتماعية (Blommaert 2012؛ Heller 2006)، فهو يتعامل مع العلامات كافة في الحيز الاجتماعي من رموز (مثال: كلمة "دولة" ومعناها المعجمي)، وأيقونات (مثال: "صورة فوتوغرافية" كعلامة دالة على شخص)، وإشارات (مثل "الدخان" كعلامة دالة على "نار") (Scollon and Scollon 2002). كذلك تركّز دراسات المشهد اللغوي على العلامات في مختلف أوضاعها متضمنة العلامات الثابتة (مثال: باب عليه لافتة "ممنوع الدخول") والمتحركة (مثال: لافتة عليها كلمة "ارحل" يحملها شخص في ميدان التحرير) والرسومات الجدارية مثل الجرافيتي.

تهتم دراسات المشهد اللغوي بدراسة

الظاهرة يجب القول بأن أي مشروع تحوّل ديمقراطي منظم يجب أن يمر عبر بوابة الثقافة الشعبية وتصوراتها الأيديولوجية حول اللغة (Gramsci 1971، 1985). إن أحد الوسائل لدمقرطة الفكر اللساني هي إنتاج ما أطلق عليه عبد اللطيف (2013: 61) "بلاغة الحرية" من خلال اعتماد أجندة تحررية يكون هدفها تأسيس "بلاغة للجمهور"، أي تملك "الرجل العادي" أدوات تحليل الخطاب النقدي، "تمكّنه في حال تعرّضه لخطاب بلاغيّ ما من الكشف عن تحيّزات هذا الخطاب، ومبالغاته، ومغالطاته، ومفارقاته للواقع، وتناقضاته الداخلية، والأغراض التي يسعى لإنجازها حتى يتمكّن من التمييز بين خطاب سلطويّ يسعى للسيطرة عليه، وخطاب حرّ يسعى لتحريره". من الواضح أنّ هذا المشروع النقدي ذو توجهات "إنسانية اشتراكية" (Hymes 1972b) باعتبار أنه يهدف إلى تفكيك أنماط "بلاغة الاستعباد" (عبد اللطيف 2013). وحتى لا توجي هذه البرامج النقدية بأنها تمتلك دون غيرها آليات كشف "الحقيقة" (بينما يمتلك الآخرون آليات إنتاج "الوعي الزائف") يجب الأخذ في الاعتبار أنّ بوصلة هذه البرامج هو "الممارسة الشعبية" للغة نفسها. إن أطروحة "بلاغة الحرية" يمكن أن تفهم بأنّها خطاب سوسيو-تداولي يهدف إلى السيطرة من خلال الفضاء على نفسه في نهاية المطاف.

٢,٣ . المشهد اللغوي وميادين

التضامن والكفاح

اقترح لاندري وبوريس Landry and Bourhis (1997)) مصطلح "المشهد

هو أنّ أجندة البلاغة العربية كانت أجندة سوسiolسانية تهتم بدراسة واقع الحياة اليومية (أي "الحياة الشعبية") من خلال التركيز على الوظائف التداولية للغة في المجتمع. وإذا كان مفهوم التصورات الشعبية للغة من المفاهيم العلائقية التي تربط اللغة بالفضاء السياسي والاجتماعي والاقتصادي، فإن هذا يعني أنه يجب أن تشترك البلاغة العربية في عصرنا هذا بصورة نقدية مع الفكر السوسiolساني الأوربي والهندي والأفريقي بهدف فهم دور السلوك الخطابية في إنتاج علاقات قوة وتضامن على مستوى التفاعل الاجتماعي (عبد الحي: تحت الطبع).

بالرغم من أنّ الثقافة المدرسية في معظم البيئة العربية - وغير العربية - قد أصلت في أذهان العامة مفهوماً محدداً للغة يقوم على المنطق الفلسفي الصوري، إلا أنه من الواضح أنّ الحراك السياسي والثقافي الحالي في العالم العربي أو ما يعرف بظاهرة "الربيع العربي" (أو "الثورات العربية" في الخطاب العربي) قد أظهر بوضوح الدور "الفعلي" للغة (اللغة كفاعل خطابي) في بناء علاقات اجتماعية تقوم أواصرها على التضامن والكفاح من أجل إرساء قيم العدالة الاجتماعية والحرية والحكم الرشيد وغيرها من المطالب الديمقراطية المشروعة. ليس هذا فحسب بل إنّ الممارسات الخطابية الثورية الرّاهنة في العالم العربي قد بدأت تفرض أجندتها على العلوم الاجتماعية عامة وعلى اللسانيات التطبيقية على وجه الخصوص ليس في التراث الأوربي فحسب، بل في التراث العربي اللساني أيضاً (عبد اللطيف 2013). ولتوضيح أهمية هذه

باعتباره يُؤطر ويعرّف هوية ليست هوية المكان فحسب، بل السلوك الإنساني المناسب في المكان من خلال فرض قوانين ومعايير اجتماعية محددة. فعلى سبيل المثال تساهم الأنظمة السيمائية (الإرشادات واللافتات وعلامات المرور وغيرها) في تشكيل حركة "الجسد" وتحديدها، في المساحات التي تكوّن الحيز العام. وبعبارة أخرى: إنّ هدف الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية هو تشكيل هوية الفرد كـ "جسد تاريخي" (Scollon and Scollon؛ ١٩٥٨ Nishida؛ ٢٠٠٢) من خلال غرز أنماط سوسيو-أنتروبولوجية محددة دون غيرها، والتي من خلالها تُعرّف (وعليه تُنتج) حرية التفكير والحركة والتعبير، خاصة في الحيز العام. هناك حاجة لدراسات موسّعة ومعقّدة للدور السيميائي للجسد وعلاقته بالأنماط الخطابية في سياقات الحراك السياسي في العالم العربي (انظر لونيس ٢٠١٣، عبد اللطيف ٢٠١٣).

إنّ الحيز الاجتماعي كمؤسسات وشوارع ومدارس وغيرها تحكمه وتعرّفه أنظمة سوسiolسانية، وهذا أحد أهم مبررات اهتمام اللسانيات الاجتماعية بدراسة طبيعة وتنظيم "المشهد اللغوي" كمساحة تتقاطع فيها أنماط مختلفة من السلطة والمقاومة والعنف الخطابي أو الرمزي (Bourdieu ١٩٩١). ولكنّ هذا لا ينفي دور الممارسة الاجتماعية في التغيير، فالحراك الاجتماعي والسياسي في المجتمعات وتفاعل المجموعات والأفراد مع بعضهم البعض (على سبيل المثال عبر شبكات التواصل الاجتماعي) يجعل مكونات الثقافة السياسية، وعلى رأسها

٢٠١٢ Kasanga؛ ٢٠١٤؛ إنّ الحراك الثوري والذي يمكن النظر إليه في بعده السوسiolساني باعتباره "ثورة خطابية" قد نجح في ظهور منظومة معرفية هزّت أركان الخطابات الأيديولوجية التي نشأت في مرحلة ما بعد الاستعمار في العالم العربي (Dabashi ٢٠١٢).

كذلك توضح دراسة المشاهد اللغوية طبيعة التخطيط والسياسة اللغوية على المستوى الرسمي، وعلى مستوى الممارسة في مدينة أو دولة ما (Shohamy and Gorter ٢٠٠٩؛ Shohamy ٢٠٠٦). كما تُعدّ المشاهد اللغوية مؤشراً مهمّاً لطبيعة علاقات القوة والهيمنة في سياق اجتماعي محدد (إدريس ٢٠١٤، أمارة ٢٠١٠). وعلى سبيل المثال هناك عدد من الدراسات التي ركّزت على بعض المشاهد اللغوية في القدس، وأكدت أنّ الاحتلال الصهيوني يستخدم المشهد اللغوي كوسيلة فعّالة لطمس معالم هوية الجغرافية العربية في القدس من خلال إزالة الأسماء العربية من لافتات الشوارع والمحلات الأثرية، أو تهميش الأسماء العربية، وإعطاء الأولوية للخط العبري باعتباره رمزاً لهوية من يسيطر على المكان (دعامشة ٢٠١٣). إنّ طبيعة توزيع الموارد اللغوية داخل لوحة إرشادية (مثال: وضع الكلمة العبرية "فوق" الكلمة العربية داخل لوحة إرشادية أو لوحة شارع) يُعدّ مؤشراً ذا دلالات رمزية لها علاقة بالهوية والهيمنة، ويمكن التحقق من طبيعة علاقات القوة (على سبيل المثال في القدس) عن طريق أدوات البحث الإثنوغرافي والتاريخي.

يُعدّ استخدام اللغة في الفضاء العام (الافتراضي والحقيقي) "فعلاً اجتماعياً"

شروط إنتاج العلامات والأنساق أو الأنظمة السيمائية التي تنتمي لها، وتوزيعها، وتسييرها. كذلك يركّز هذا الاهتمام على فهم طبيعة تفاعل الأفراد مع اللغة في الفضاء الاجتماعي لعدة أهداف من بينها فهم أحد أهم جدليات العولمة في تحدياتها الثقافية. إنّ انتشار اللغة في مناطق واسعة يؤدي إلى تفرّعها إلى لهجات، لأن اللغة عندما تنتشر فإنها تنتشر في جغرافية تحكمها أنظمة سياسية واجتماعية وثقافية وأعراف وتقاليد مختلفة تؤثر على وحدة هذه اللغة (تؤثر على أصواتها ودلالة مفرداتها) (Blommaert ٢٠١٠). ومن هذا المنظور السوسiolساني التاريخي لتطور اللغة يمكن فهم تفرّع اللغات العالمية مثل العربية والإنجليزية إلى لهجات محلية واجتماعية (وإي ١٩٨٢).

والمدخل إلى دراسة المشاهد اللغوية هو فهم الوظائف التي استخدمت من أجلها اللغة (في تحدياتها المختلفة: لافتات ولوحات إرشادية وغيرها) في الحيز العام. ففي سياق الحراك السياسي والاجتماعي الحالي في العالم العربي، تستخدم دراسات المشهد اللغوي لمعرفة الأغراض والوظائف التي تسعى الشعارات (مثل: عيش، حرية، عدالة اجتماعية) واللافتات إلى تحقيقها والتمثيلات الأيديولوجية التي تحملها وتعبّر عنها، والموارد الخطابية التي اعتمدت عليها؛ فعلى سبيل المثال، إنّ استخدام اللافتات والملصقات والتي تُعدّ جزءاً من خطابات الاحتجاج الثوري في مصر توضح بصورة جلية الوظائف الاجتماعية للغة في بناء علاقات تضامن عابرة للجغرافيات المحلية والعرقية أو الهويات الضوئية بصورة عامة (عبد اللطيف ٢٠١٣ Aboezz)

الاستبداد، خلق وعي جمعي... إلخ)؟
 ٥. من ناحية مكانية، ما مسافة اللافتة الإرشادية من النشاط أو المكان الذي تشير إليه؟ (معلقة فوق عمود خشبي تحمله فتاة، خريطة إرشادية على عمود كهرباء، جدارية، ملصق على يد... إلخ)؟ هل هناك أي علامة سيميائية في هذا المكان تُعدُّ "غير لائقة" أو مخالفة للأعراف المحلية أو الرسمية المتعلقة بالشعارات والإعلانات (ملصق على الباب، جرافيتي، شعار رابعة العدوية... إلخ)؟ ولماذا يعد الشعار أو العلامة الإرشادية مخالفة أو "خارج السياق"؟ وفي نظر من تُعدُّ مخالفة؟ وفي نظر من تُعدُّ عملاً مشروعاً؟ وماهي العلاقة بين اللوحة الإرشادية والمكان الذي تشير إليه؟ (إذا أزلنا اللوحة الإرشادية هل يمكن معرفة هوية المحل أو المؤسسة أو الشارع)؟
 ٦. هل اللوحة أحادية اللغة، ثنائية اللغة، أم متعددة؟ وإذا كانت متعددة اللغات؟ ماهي هذه اللغات (أو النوعيات من اللغة)؟ وهل هناك أي أفضلية في ترتيب هذه اللغات داخل اللوحة الإرشادية؟ ماهي اللغة التي أُعطيت الأفضلية؟ وهل هناك أي دلالة لهذه التعددية أو الثنائية اللغوية؟ وإلى أي مدي تشير هذه اللوحات الإرشادية إلى طبيعة المنطقة من ناحية التكوين الاجتماعي (هويات الأشخاص الذين يقطنون المنطقة أو يزورونها)، والاقتصادي (منطقة صناعية، عمالية)، والسياسي (نقابة عمالية)؟ وما هو ترتيب وتنظيم هذه

المحلات والشوارع واللافتات بأشكالها في الشارع أو الميدان أو داخل المؤسسة ونوعية مستخدمي هذه الموارد الخطابية وطريقة تفاعلهم معها، والعلاقة بين العلامات واللافتات اللغوية في تفاعلها مع العلامات غير اللغوية (العلامات السيميائية الأخرى مثل "صورة شعار رابعة" ملصق على وجه)، ومن ثم يقوم الباحث بوصف وتحليل طبيعة الموارد اللغوية المستخدمة في صناعة هذه العلامات السيميائية، مسترشداً بالأسئلة التالية:
 ١. ما هو السياق المكاني والزمني لهذه الظاهرة الخطابية (مثال: ميدان التحرير، معهد الدوحة للدراسات العليا، ٢٥ يناير)؟
 ٢. ماهي نوعية العلامات السيميائية الموجودة في هذا السياق؟ (تعبير لغوي بالعربية والإنجليزية، صور فوتوغرافية، أيقونات رمزية)؟ وماهي العلاقة بين هذه العلامات (علامات خطية من لغات مختلفة، لافتة متعددة الوسائط: نص كتابي + صورة + ألوان)؟
 ٣. ما هي نوعية هذه العلامات واللافتات من حيث الديمومة والثبات؟ (ثابتة بصورة دائمة، مؤقتة: ملصقات على الحائط، متحركة في سياق تظاهرة سياسية... إلخ)؟
 ٤. وماهي نوعيتها من حيث الأنشطة أو الخدمات التي تدل عليها؟ (سياسية، تجارية، حكومية، تنظيمية كإشارات المرور... إلخ)؟ وماهي وظيفة اللغة (بالمعنى المتسع) في هذه اللوحات أو اللافتات؟ (توصيل معلومة فقط، التعبير عن الهوية الوطنية، مقاومة

اللغة، في حالة سيرورة ديناميكية (أي متغيرة). وهذا الحراك والتفاعل هو ما يُمكن الفرد من خلال الفعل الاجتماعي على إنتاج تحوّل في هذه الأنظمة السوسيو-ثقافية.

إنّ الاهتمام بدراسة اللغة في أشكالها السيميائية المختلفة في الفضاء العام يساعدنا، كما ذكرنا سابقاً، على فهم التطور الدلالي والأيدولوجي للمفردة باعتبار أنّ اللغة تتغير دلالتها الاجتماعية على حسب السياق الذي تستخدم فيها. إنّ دراسة المشاهد اللغوية لا تقتصر فقط على الواقع "الحقيقي" بل تشمل أيضاً دراسة المشاهد الخطابية (من شعارات ولافتات وأيقونات وغيرها) على الواقع الافتراضي وعلى وجه الخصوص شبكات ووسائط التواصل الاجتماعي مثل: الفيس بوك، تويتر، والواتساب، وغيرها (انظر: اللبان، ٢٠١٦).

نختم هذا الجزء من الورقة بالقول بأنّ دراسة المشاهد اللغوية تحتاج إلى تصور وأدوات إثنوغرافية وصفية تشمل الملاحظة المباشرة والتوثيق الفوتوغرافي، وفي بعض الحالات إجراء مقابلات مفتوحة لجمع معلومات حول الشروط التاريخية والاجتماعية التي أنتجت هذا النمط من المشاهد اللغوية محل الدراسة.

ويمكن ترجمة ما تعرضنا إليه إلى آلية بحثية وعدد من الأسئلة الاسترشادية، وعلى سبيل المثال، يختار الباحث/ة أي شارع أو ميدان عام كنموذج أو دراسة حالة، ثم يقوم بملاحظة وتمعن طبيعة المشهد اللغوي في هذا الشارع وتصوير عينة من اللافتات التجارية وغير التجارية والعلامات واللوحات الإرشادية مثل أسماء

الورقة على بعض القضايا الإستمولوجية والمنهجية في اللسانيات الاجتماعية من خلال مناقشة طبيعة العلاقة بين الأنساق الخطابية والأنماط الاجتماعية والثقافية التي تحكم استخدامها. كذلك تعرّضت الورقة إلى مفاتيح وأدوات المعمار الإثنوغرافي للغة كأرضية نظرية ومنهجية لفهم الثقافة السياسية للغة. وأخيراً استخدمنا هذه التصور الإثنوغرافي كأرضية مفاهيمية لمناقشة التصورات الشعبية للغة والمشاهد اللغوية كأحد أهم مظاهر الثقافة السياسية في المجتمع.

الإرشادية مؤشراً لطبيعة ونوعية العلاقات والأدوار الاجتماعية للأفراد الذين يعملون أو يقطنون أو يزورون الشارع أو المؤسسة (علاقات القوة وعدم التكافؤ، الهوية الوطنية، علاقات النوع الاجتماعي وجندرة الجغرافيا... إلخ)؟

٤. خاتمة

هدفت هذه الورقة إلى المساهمة في التيار السوسيولساني النقدي الذي يدعو إلى ربط الدراسات اللغوية في العالم العربي بقضايا الواقع الراهن أو ما بات يُعرف بظاهرة الربيع العربي. وركّزت

اللغات في اللوحة الإعلانية؟ (ترتيب رأسي، ترتيب أفقي، اللغة العربية أولاً ثم الإنجليزية ثانياً... إلخ)؟ وعلى ماذا يمكن أن يشير هذا الترتيب؟
٧. من الذي قام/موا بإنتاج هذه اللوحات الإرشادية؟ هل هناك أي قرائن تدل على الظروف الموضوعية التي أنتجت فيها؟ من هو الجمهور المقصود بهذه اللوحات الإرشادية (ما هي نوعية القراء المتوقعة)؟ هل يمكن معرفة هذه المعلومات من العلامات الإرشادية أم هناك حاجة لاستخدام مصادر بيانات مساندة؟
٨. إلى أي مدى تُعدُّ هذه اللوحات

قائمة المراجع

أ. باللغة العربية

- إدريس، إحسان. (٢٠١٤). تهميش العربية في إسرائيل: لافتات المرور نموذجاً. عود الند، ٩٢، ٨٤-٩٥.
أشار، بيار. (١٩٩٦). سوسيوولوجيا اللغة. ترجمة عبد الوهاب ترو. بيروت: منشورات عويدات.
أمارة، محمد. (٢٠١٠). اللغة والهوية: تأثيرات وتداعيات على التعليم في العالم العربي. كتاب دراسات، ٢٣-٢٣.
بشارة، عزمي. (٢٠١٦). ثورة مصر: من الثورة إلى الانقلاب (الجزء الثاني). الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
دعامشة، عامر. (٢٠١٢). المكان والمكانة ليسا محض الصدفة - العبرية والعربية في لافتات القرى العربية. كتاب دراسات، العدد السادس، ١٠٤-١١١.
دوركايم، إميل. (١٩٨٨). قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم والسيد محمد بدوي. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
الشافعي، محمد بن إدريس. (١٩٣٨) [١٣٥٧]. الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
الشمري، عقيل ومنصور ميغري. (تحرير). (تحت الطبع). التصورات الشعبية عن اللغة العربية: مفاهيم، وقضايا، وحالات. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.
ضيف، شوقي. (٢٠١٤). البلاغة تطور وتاريخ. القاهرة: دار المعارف.
الطائي، نعمة دهب فرحان. (٢٠١٢). سوسيولسانيات نهج البلاغة. بغداد: دار المرتضى.
عبد الحي، أشرف. (تحت الطبع). نحو "تسييس" اللسانيات التطبيقية: التصورات الشعبية للغة. في التصورات الشعبية عن اللغة العربية: مفاهيم، وقضايا، وحالات، تحرير عقيل الشمري ومنصور ميغري. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.
عبد اللطيف، عماد. (٢٠١٢). بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة. بيروت: دار التنوير.
عبد اللطيف، عماد. (٢٠١٤). بلاغة جديدة لعالم جديد. مقدمة وترجمة موسوعة أكسفورد في البلاغة، تحرير توماس سلوان (٤-١٤). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
غارمادي، جولييت. (١٩٩٠). اللسانة الاجتماعية، ترجمة خليل أحمد خليل. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
اللبان، شريف درويش. (٢٠١٦). دراسة حول الفاعلية: الشعارات السياسية لـ ٢٥ يناير و٢٠ يونيو على شبكات التواصل الاجتماعي. المركز العربي

للبحوث والدراسات. تم استرجاعه في ٢٠١٧/٣/١٨ على الرابط <http://www.acrseg.org> /٤٠٠٧١.

لعبيبي، هادي نهر. (٢٠٠٩). اللسانيات الاجتماعية عند العرب. إربد: عالم الكتب الحديث.

لونيس، بن علي. (٢٠١٢). التحليل الخطابى للثورات العربية.. قراءة في علاقة الخطاب والجسد في ظل الربيع العربي. الجزائر نيوز. تم استرجاعه في ٢٠١٧/٣/١٨ على الرابط <http://www.djazairnews.com/djazairnews> /٥٠٢٤٢.

مجموعة مؤلفين. (٢٠١٤). الثورة التونسية: القادح المحلي تحت مجهر العلوم الإنسانية. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

المسدي، عبد السلام. (٢٠١٤). الهوية العربية والأمن اللغوي: دراسة وتوثيق. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

هدسون، ريتشارد. (١٩٩٠). علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد. (ط٢). القاهرة: عالم الكتب.

وايفي، على عبد الواحد. (١٩٨٢). اللغة والمجتمع. (ط٤). جدة: شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع.

ب. باللغة الإنجليزية

- Aboeazz, Mariam. (٢٠١٢). 'Out' in any language. *Linguist*, ١٥- ١٤، (٣) ٥١.
- Almond, Gabriel; and Verba, Sidney. (١٩٦٣). *The civic culture: Political attitudes and democracy in five nations*. Princeton: Princeton University Press.
- Anderson, Benedic. (١٩٩٠). *Language and power: Exploring political cultures in Indonesia*. New York: Cornell University Press.
- Anderson, Benedict. (١٩٩١). *Imagined communities: Reflections on the origin and spread of nationalism*. London: Verso.
- Austin, John (١٩٦٢). *How to do things with words*. Oxford: Clarendon Press.
- Bakhtin, Mikhail. (١٩٨١). *The dialogic imagination: Four essays*. Edited by Michael Holquist, translated by Caryl Emerson and Michael Holquist. Austin: University of Texas Press.
- Bakhtin, Mikhail. (١٩٨٤). *Problems of Dostoevsky's poetics*. Edited and translated by Caryl Emerson. Minneapolis: University of Minnesota Press.
- Blackledge, Adrian, and Creese, Angela. (٢٠١٠). *Multilingualism: A critical perspective*. New York: Continuum.
- Blommaert, Jan. (٢٠٠٥). *Discourse: A critical introduction*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Blommaert, Jan. (٢٠١٠). *The sociolinguistics of globalization*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Blommaert, Jan. (٢٠١٢). *Ethnography, superdiversity and linguistic landscapes: Chronicles of complexity*. Bristol: Multilingual Matters.
- Blommaert, Jan. (٢٠١٥). *Dialogues with ethnography: Notes on classics and how I read them*. *Tilburg Papers in Culture Studies*, Paper ١٣٨.
- Bourdieu, Pierre. (١٩٩١). *Language and symbolic power*. Edited by John Thompson, translated by Gino Raymond and Matthew Adamson. Cambridge: Polity Press.
- Bright, William (ed.). (١٩٦٦). *Sociolinguistics: Proceedings of the UCLA sociolinguistics conference ١٩٦٤*. The Hague: Mouton.
- Burns, Gary (ed.). (٢٠١٦). *A companion to popular culture*. Chichester: John Wiley and Sons.
- Busch, Brigitta (٢٠١٢). *The linguistic repertoire revisited*. *Applied Linguistics*, ٥٢٣-٥٠٢: (٥) ٣٣.
- Butler, Judith. (١٩٩٧). *Excitable speech: A politics of the performative*. New York: Routledge.
- Canagarajah, Suresh, and Liyanage, Indika (٢٠١٢). *Lessons from pre-colonial multilingualism*. In Marilyn Martin-Jones.

- Adrian Blackledge and Angela Creese (eds.). *The Routledge handbook of multilingualism*. ٦٥-٤٩. New York: Routledge.
- Dabashi, Hamid. (٢٠١٢). *The Arab Spring: The end of postcolonialism*. New York: Zed Books.
- Duchene, Alexandre. and Heller, Monica (eds.). (٢٠٠٧). *Discourses of endangerment: Ideology and interest in the defence of languages*. New York: Continuum.
- Duranti, Alessandro. (١٩٩٧). *Linguistic anthropology*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Durkheim, Emile. [١٩٣٢] [١٨٩٢]. *The division of labour in society*. Translated by George Simpson. New York: The Free Press.
- Durkheim, Emile. (١٩٨٢). *The rules of sociological method*. Edited by Steven Lukes. translated by W.D. Halls. New York: The Free Press.
- Edwards, John. (٢٠٠٩). *Language and identity: An introduction*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Fabian, Johannes. (١٩٨٢). *Time and other: How anthropology makes its object*. New York: Columbia University Press.
- Ferguson, Charles. (١٩٥٩). Diglossia. *Word*, ٢٤٠-٢٢٥, ١٥.
- Figuroa, Esther. (١٩٩٤). *Sociolinguistic metatheory*. Oxford: Elsevier Science.
- Fishman, Joshua. (١٩٧٢). *Language in sociocultural change*. Selected and introduced by Anwar Dil. California: Stanford University Press.
- Foucault, Michel. (١٩٧٢). *The archaeology of knowledge and the discourse on language*. Translated by A. M. Sheridan Smith. New York: Pantheon Books.
- Goffman, Erving. (١٩٧١). *Relations in public: Microstudies of the public order*. New York: Basic Books.
- Gramsci, Antonio. (١٩٧١). *Selections from the prison notebooks of Antonio Gramsci*. Edited and translated by Q. Hoare and G. Smith). London: Elecbooks.
- Gramsci, Antonio. (١٩٨٥). *Selections from cultural writings*. Edited by David Forgacs and Geoffrey Nowell-Smith, translated by William Boelhower). London: Lawrence and Wishart.
- Grice, Paul. (١٩٥٧). Meaning. *The Philosophical Review*, ٢٨٨-٢٧٧, (٢) ٦٦.
- Gumperz, John (١٩٨٢). *Discourse strategies*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Gumperz, John. and Hymes, Dell. (eds.). (١٩٧٢). *Directions in sociolinguistics: The ethnography of communication*. New York: Holt, Rinehart, and Winston.
- Heller, Monica. (٢٠٠٦). *Linguistic minorities and modernity: A sociolinguistic ethnography* (٢nd edition). New York: Continuum.
- Hoenigswald, Henry. (١٩٦٦). A proposal for the study of folk-linguistics. In William Bright (ed.), *Sociolinguistics: Proceedings of the UCLA sociolinguistics conference ٢٦-١٦, ١٩٦٤*. The Hague: Mouton.
- Holmes, Janet. (٢٠١٢). *An introduction to sociolinguistics* (٤th edition). New York: Routledge.
- Hymes, Dell. (١٩٦٤a). Introduction: Toward ethnographies of communication. *American Anthropologist*, ٢٤-١, (٦) ٦٦.
- Hymes, Dell (ed.). (١٩٦٤b). *Language in culture and society: A reader in linguistics and anthropology*. New York: Harper and Row.
- Hymes, Dell. (١٩٧٢a). The contribution of folklore to sociolinguistic research. *The Journal of American Folklore*, (٢٢١) ٨٤٥٠-٤٢.

- Hymes, Dell (ed.). (١٩٧٢b). The use of anthropology: Critical. political. personal. In Dell Hymes (ed.), Reinventing anthropology. ٧٩-٢. New York: Pantheon.
- Hymes, Dell. (١٩٩٦). Ethnography, linguistics, narrative inequality: Toward an understanding of voice. London: Taylor & Francis.
- Joseph, John. (٢٠٠٦). Language and politics. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Kasanga, Luanga. (٢٠١٤). The linguistic landscape: Mobile signs, code choice, symbolic meaning and territoriality in the discourse of protest. *International Journal of the Sociology of Language*, ٤٤ -١٩, ٢٢٠.
- Labov, William. (١٩٧٢). Sociolinguistic patterns. Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press.
- Landry, Rodrigue, and Bourhis, Richard. (١٩٩٧). Linguistic landscape and ethnolinguistic vitality. *Journal of Language and Social Psychology*, ٤٩-٢٣, (١)١٦.
- Makoni, Sinfree, and Pennycook, Alastair (eds.). (٢٠٠٧). Disinventing and reconstituting languages. Clevedon: Multilingual Matters.
- Mazrui, Ali, and Mazui, Alamin. (١٩٩٩). Political culture of language: Swahili, society and the state (٢nd edition). Binghamton, NY.: Binghamton University Press.
- Mooney, Annabelle, and Evans, Betsy. (٢٠١٥). Language, society and power: An introduction. New York: Routledge.
- Niedzielski, Nancy, and Preston, Dennis. (٢٠٠٠). Folk linguistics. Berlin: Mouton de Gruyter.
- Niedzielski, Nancy, and Preston, Dennis. (٢٠٠٩). Folk pragmatics. In Gunter Senft, Jan-Ola Östman and Jef Verschueren (eds.), Culture and language use, ١٥٥-١٤٦. Amsterdam: John Benjamins Publishing.
- Nishida, Kitaro. (١٩٥٨). Intelligibility and the philosophy of nothingness: Three philosophical essays. Translated with an introduction by Robert Schinzinger. Tokyo: Maruzen.
- Ochs, Elinor. (٢٠٠٠). Socialization. *Journal of Linguistic Anthropology*, ٢٢٢-٢٢٠, (٢-١)٩.
- Pennycook, Alastair. (٢٠١٠). Language as a local practice. Abingdon: Routledge.
- Phillipson, Robert. (١٩٩٢). Linguistic imperialism. Oxford: Oxford University Press.
- Putnam, Hilary. (١٩٧٥). Mind, language and reality. Cambridge: Cambridge University Press.
- Robben, Antonius, and Sluka, Jeffery. (٢٠١٢). Ethnographic fieldwork: An anthropological reader (٢nd edition). Chichester: John Wiley and Sons.
- Rossi-Landi, Ferruccio. (١٩٨٢). Language as work and trade: A semiotic homology for linguistics and economics. Translated by Martha Adams. South Hadley, MA: Bergin and Garvey.
- Said, Edward. (١٩٧٨). Orientalism. London: Routledge and Kegan Paul.
- Scollon, Ron, and Scollon, Suzie. (٢٠٠٢). Discourses in place: Language in the material world. London: Routledge.
- Schieffelin, Bambi, Woolard, Kathryn, and Kroskrity, Paul. (eds.). (١٩٩٨). Language ideologies: Practice and theory. Oxford: Oxford University Press.
- Shohamy, Elana. (٢٠٠٦). Language policy: Hidden agendas and new approaches. London: Routledge.
- Shohamy, Elana, and Gorter, Durk. (٢٠٠٩). Linguistic landscape: Expanding the scenery. New York: Routledge.
- Silverstein, Michael, and Urban, Greg (eds.). (١٩٩٦). Natural histories of discourse. Chicago: The University of Chicago Press.

- Suleiman, Yasir. (٢٠٠٢). The Arabic language and national identity: A study in ideology. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Suleiman, Yasir. (٢٠١٣a). Arabic folk linguistics: Between mother tongue and native language. In Jonathan Owens (ed.), The Oxford handbook of Arabic linguistics. Oxford: Oxford University Press. DOI: ١٠.١٠٩٢/oxfordhb/٩٧٨٠١٩٩٧٦٤١٣٦,٠١٣,٠٠١١
- Suleiman, Yasir. (٢٠١٣b). Arabic in the fray: Language ideology and cultural politics. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Tismaneanu, Vladimir (ed.). (١٩٩٥). Political culture and civil society in Russia and the New States of Eurasia. New York: M. E. Sharpe.
- Vertovec, Steven. (٢٠٠٦). The emergence of super-diversity in Britain. Compass Working Paper No. ٢٥. Oxford: University of Oxford, Centre of Migration, Policy and Society.
- Voloshinov, Valentin. (١٩٧٣). Marxism and the philosophy of language. Translated by Ladislav Matejka and I. R. Titunik. New York: Seminar Press.
- Ware, Robert. (١٩٧٨). The division of linguistic labor and speaker competence. Philosophical Studies: An International Journal for Philosophy in the Analytic Tradition. ٦١-٣٧, (١)٣٤.
- Wittgenstein, Ludwig. (٢٠٠١). Philosophical investigations (٢rd edition). Translated by G. E. M Anscombe. Oxford: Blackwell Publishing.

الهوامش

- ١ شكر وتقدير: أود أن أشكر الزملاء الأفاضل التالية أسمائهم على قراءة مسودة هذه الورقة وعلى اقتراحاتهم وملاحظاتهم القيّمة: فضل الحميدان (معهد الدوحة للدراسات العليا)، أميرة السباعي (معهد الدوحة للدراسات العليا)، أشرف اقريطب (معهد الدوحة للدراسات العليا)، يونس ادشيش (معهد الدوحة للدراسات العليا)، و عبد الرزاق مسعودي (معهد الدوحة للدراسات العليا).
- ٢ هناك بعض المساهمات الفكرية والدراسات الميدانية تصدّت لتوثيق ظاهرة "الربيع العربي" في بعض السياقات وأثرها على العلوم الاجتماعية والإنسانية (مثال: بشارة ٢٠١٦، مجموعة مؤلفين ٢٠١٤). لقد أدّت ظاهرة الربيع العربي إلى تغيير في خارطة ومحتوى بعض المقررات الجامعية التي تخاطب العلاقة بين هذا الحراك الثوري كظاهرة اجتماعية وأنتروبولوجية (أو ثقافية) والحقول المعرفية التي تنتمي إليها هذا المقررات. وأذكر على سبيل المثال هنا مقرر "سوسيلوجيا الربيع العربي"، والذي يقوم بتسقيمه وتدرسه الزميل مولدي لحممر ضمن برنامج علم الاجتماع والأنثروبولوجيا في معهد الدوحة للدراسات العليا، والذي أود أن أعبر له عن شكري على المعلومات المفيدة حول محتوى هذا المقرر.
- ٣ على سبيل المثال "اللغة العربية والأمن اللغوي" لمؤلفه عبد السلام المسدي (المسدي ٢٠١٤) و"اللغة العربية والهوية الوطنية" لياسر سليمان (Suleiman ٢٠٠٢)
- ٤ هذا بالضبط أحد أهم أغراض معجم الدوحة التاريخي للغة العربية وهو ما يميز ويجعل هذا المشروع إضافة حقيقية من نوعه ليس على مستوى العالم العربي فحسب بل على مستوى العالم أجمع.